مظاهر أزمة الرحمة في التربية الوالدية المعاصرة - دراسة تحليلية - وتصور علاجي في ضوء التربية الاسلامية

Manifestations of the Crisis of Mercy in Contemporary Parental Upbringing: An Analytical Study and a Remedial Approach in the Light of Islamic Education

أ.د. محمود حميد مجبل

جامعة الأنبار/ كلية التربية للعلوم الانسانية

Dr. Mahmood Hameed Mujbil / University of Anbar / College of Ed

م.م. آيه عبد القادر عباس

المديرية العامة لتربية بغداد / الكرخ الاولى

ucation for Human Sciences Asst. Lecturer Aya Abdulqader Abbas / General Directorate of Education, Baghdad / Al-Karkh First

Journal of Islamic Sciences
Vol.2 | Issue 41
ISSN: 2225-9732
December 2025

ملخص باللغة العربية

يتناول البحث بعنوان «مظاهر أزمة الرحمة في التربية الوالدية المعاصرة: دراسة تحليلية وتصور علاجي في ضوء التربية الإسلامية» ظاهرة انتزاع الرحمة من الوالدين تجاه الأبناء في العصر الحاضر، مع تحليل أسبابها وآثارها النفسية والاجتماعية، وتقديم سبل علاجها وفق القرآن الكريم والسنة النبوية والتربية الإسلامية، مع الاستفادة من الأساليب النفسية والتربوية الحديثة.

أظهرت الدراسة أن الإهمال العاطفي، والعنف، وضغوط التعليم والعمل، والتفكك الأسري، والمقارنات الجائرة من أبرز العوامل التي تؤدي إلى اضطرابات نفسية وسلوكية وضعف في التعلق الأسري.

اعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي من خلال دراسة النصوص الشرعية وتحليل الواقع المعاصر، واستعراض الحلول العملية المقترحة.

وقد خُطِّط البحث في ثلاثة مباحث رئيسة: المبحث الأول: الأسس الشرعية للرحمة في التربية الوالدية. المبحث الثاني: تشخيص واقع الرحمة في التربية المعاصرة. المبحث الثالث: تصور مقترح لتعزيز الرحمة في التربية الوالدية.وخلص البحث إلى أن الرحمة تمثل قيمة مركزية في التربية الأسرية، وأن الجمع بين الأسس الشرعية والرؤى التربوية المعاصرة يسهم في بناء بيئة أسرية متوازنة ومستقرة.

الكلمات المفتاحية: الرحمة الأسرية - أزمة الرحمة - التربية الإسلامية - الإهمال العاطفي - العنف الأسري.

Abstract:

The research, entitled "Manifestations of the Crisis of Mercy in Contemporary Parental Upbringing: An Analytical Study and a Remedial Approach in the Light of Islamic Education", examines the phenomenon of the withdrawal of parental mercy towards children in the modern era. It analyzes its causes, psychological and social effects, and presents remedies in accordance with the Qur'an, the Sunnah, and Islamic education, while also benefiting from modern psychological and educational approaches.

The study revealed that emotional neglect, violence, educational and occupational pressures, family disintegration, and unfair comparisons are among the main factors leading to psychological and behavioral disorders and weakened family attachment.

The research adopted the descriptive-analytical method by studying the relevant religious texts, analyzing the contemporary reality, and reviewing practical solutions.

The study was structured into three main sections:

· The first section: The Islamic foundations of mercy in parental upbringing.

· The second section: Diagnosing the reality of mercy in contemporary parenting.

· The third section: A proposed vision for strengthening mercy in parental upbringing.

The study concluded that mercy represents a central value in family upbringing, and that combining Islamic foundations with contemporary educational perspectives contributes to building a balanced and stable family environment.

Keywords: Family mercy — Crisis of mercy — Islamic education — Emotional neglect — Domestic violence.

المقدمة

الحمد لله الذي اتصف بالرحمة وجعلها صفة من صفاته العُلا، وكتبها على نفسه لعباده، فقال سبحانه: {وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ}، والصلاة والسلام على سيدنا محمدٍ رسول الرحمة، الذي قال فيه ربه: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ}، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

تُعَدّ الرحمة من القيم الإنسانية والشرعية العظمى التي قامت عليها رسالة الإسلام، فهي الركيزة الأساس التي يقوم عليها بناء الأسرة واستقرار المجتمع. وقد أولى القرآن الكريم والسنة النبوية هذه القيمة مكانة رفيعة، فجعل الله تعالى من أبرز مظاهرها ما أودعه في قلوب الوالدين من عطف ورحمة بأبنائهم، لتكون الأسرة الحاضنة الأولى للتربية السليمة والنشأة المستقيمة. غير أنّ المتأمل في واقع العصر الحاضر يلحظ تفاقم صور انتزاع الرحمة من الوالدين تجاه أبنائهم، حيث برزت ممارسات قاسية، وأشكال من الإهمال والحرمان العاطفي، انعكست سلبًا على التكوين النفسي والتربوي والاجتماعي للأبناء. ومن هنا جاء هذا البحث بعنوان: "مظاهر أزمة الرحمة في التربية الوالدية المعاصرة: دراسة تحليلية وتصور علاجي في ضوء التربية الإسلامية".

أهمية الموضوع: تتمثل مشكلة هذا البحث الموسوم بـ "مظاهر أزمة الرحمة في التربية الوالدية المعاصرة: دراسة تحليلية وتصور علاجي في ضوء التربية الإسلامية" في ملاحظة تنامي صور انتزاع الرحمة من الوالدين تجاه أبنائهم في العصر الحاضر، سواء تجسدت في صورة العنف الأسري، أو الإهمال العاطفي، أو الحرمان النفسي والتربوي. وقد أفرز هذا الواقع مشكلات تربوية ونفسية واجتماعية تهدد كيان الأسرة وتماسك المجتمع.

ورغم ما أكّد عليه القرآن الكريم والسنة النبوية من مركزية الرحمة كأساس متين للعلاقة بين الوالدين والأبناء، إلا أنّ الواقع المعاصر يشهد تراجعًا واضحًا في تجسيد هذه القيمة داخل الأسرة.

ومن هنا تنبثق إشكالية البحث في التساؤل الرئيس الآتي: كيف يمكن معالجة مظاهر أزمة الرحمة في التربية الوالدية المعاصرة، والحدّ من صور انتزاع الرحمة من الوالدين تجاه أبنائهم، في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية والتربية الإسلامية؟

مشكلة الدراسة:

تتمثل مشكلة هذا البحث الموسوم بـ "مظاهر أزمة الرحمة في التربية الوالدية المعاصرة: دراسة

تحليلية وتصور علاجي في ضوء التربية الإسلامية" في ملاحظة تنامي صور انتزاع الرحمة من الوالدين تجاه أبنائهم في العصر الحاضر، سواء تجسدت في صورة العنف الأسري، أو الإهمال العاطفي، أو الحرمان النفسي والتربوي. وقد أفرز هذا الواقع مشكلات تربوية ونفسية واجتماعية تهدد كيان الأسرة وتماسك المجتمع.

ورغم ما أكّد عليه القرآن الكريم والسنة النبوية من مركزية الرحمة كأساس متين للعلاقة بين الوالدين والأبناء، إلا أنّ الواقع المعاصر يشهد تراجعًا واضحًا في تجسيد هذه القيمة داخل الأسرة.

ومن هنا تنبثق إشكالية البحث في التساؤل الرئيس الآتي: كيف يمكن معالجة مظاهر أزمة الرحمة في التربية الوالدية المعاصرة، والحدّ من صور انتزاع الرحمة من الوالدين تجاه أبنائهم، في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية والتربية الإسلامية؟

الدراسات السابقة:

تُظهر الدراسات السابقة أن موضوع الرحمة قد حظي باهتمام في القرآن الكريم والسنة النبوية، كما تناولت بعض الأبحاث قضايا قريبة مثل العنف الأسري، والإهمال العاطفي، والقيم التربوية في الأسرة. غير أنّ هذه الدراسات جاءت في إطار عام أو جزئي، فإما ركزت على الرحمة بوصفها قيمة شمولية، أو على مظاهر سلوكية كالعنف والإهمال، دون أن تتناول بصورة مباشرة مظاهر أزمة الرحمة في التربية الوالدية المعاصرة دراسة تحليلية وتصور علاجي في ضوء التربية الإسلامية. ويمكن ترتيبها في مجالات متفرعة على النحو الآتي:

١. الرحمة في القرآن الكريم: دراسة موضوعية :لأحمد محمد عبد الله ،رسالة ماجستير، كلية أصول الدين، جامعة الأزهر، ٢٠١٢م.

١. الرحمة النبوية بأهل بيته وأصحابه وأمته: لمحمد عبد القادر حسن مجلة جامعة دمشق، العدد ٦٥، ٢٠١٥م.

٢. العنف الأسري وأثره على الأبناء: دراسة تربوية إسلامية، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة بغداد، ٢٠١٠م.

٣. الإهمال العاطفي للأطفال وأثره النفسي والسلوكي: نوال عبد الرحمن، مجلة العلوم التربوية، جامعة الملك سعود، ٢٠١٧م

٤. الأسس الإسلامية في علاج العنف الأسري: فهد بن عبد الله السبيعي مجلة البحوث الإسلامية، العدد ٩٢، ٢٠١٦م

٥. دور التربية الإسلامية في تعزيز القيم الأسرية: لعلي محمود علي، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة أم القرى، ٢٠١٤م.

٦. المشكلات التربوية المعاصرة وطرق علاجها في ضوء السنة النبوية:عبد الله بن يوسف الغامدي رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ٢٠١٨م.

٧. القيم الأسرية في الإسلام وأثرها في استقرار المجتمع: إيمان خالد عبد الرحمن، مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإنسانية، ٢٠١٩م.

التمييز عن الدراسات السابقة:

تُظهر الدراسات السابقة أن موضوع الرحمة قد حظي باهتمام في القرآن الكريم والسنة النبوية، كما تناولت بعض الأبحاث قضايا قريبة مثل العنف الأسري، والإهمال العاطفي، والقيم التربوية في الأسرة. غير أنّ هذه الدراسات جاءت في إطار عام أو جزئي؛ فإما ركزت على الرحمة باعتبارها قيمة شمولية، أو تناولت مظاهر سلوكية كالعنف والإهمال، دون أن تتطرق بصورة مباشرة إلى ظاهرة مظاهر أزمة الرحمة في التربية الوالدية المعاصرة: دراسة تحليلية وتصور علاجي في ضوء التربية الإسلامية.

منهج البحث: اعتمد الباحث في هذه الدراسة على المناهج الآتية:

١. المنهج الاستقرائي التحليلي: بجمع النصوص القرآنية والأحاديث النبوية المتعلقة بالرحمة في التربية الوالدية، وتحليل دلالاتها لاستنباط الأسس الشرعية التي تقوم عليها.

٢. المنهج الوصفي التحليلي: من خلال رصد مظاهر أزمة الرحمة في التربية الوالدية المعاصرة، ووصف صورها الواقعية، ثم تحليل آثارها النفسية والاجتماعية والتربوية.

٣. المنهج النقدي المقارن: بعرض ما ورد في الدراسات السابقة حول التربية الوالدية والرحمة، ومقارنتها بالواقع التربوي المعاصر، لاستخلاص النتائج وتقديم تصور علاجي في ضوء التربية الإسلامية.

خطة البحث: جاءت خطة البحث على النحو الآتي:

المقدمة: وفيها بيان أهمية الموضوع ومشكلته ومنهجه.

المبحث الأول: الأسس الشرعية للرحمة في التربية الوالدية

المطلب الاول: مفهوم الرحمة الوالدية لغوية واصطلاحًية.

المطلب الثاني: الرحمة في القرآن الكريم ودلالاتها التربوية وتطبيقها في الواقع.

المطلب الثالث: الرحمة في السنة النبوية وتطبيقاتها النبوية العملية.

المطلب الرابع: الحكمة من تشريع الرحمة في التربية.
المبحث الثاني: تشخيص واقع الرحمة في التربية المعاصرة .
المطلب الأول: العنف الجسدي والنفسي كمظهر لغياب الرحمة.
المطلب الثاني: الإهمال العاطفي والتربوي وأثاره.
المطلب الثالث: ضغوط التحصيل الدراسي والمقارنات الاجتماعية.
المطلب الرابع: التفكك الأسري والتمييز بين الأبناء.
المبحث الثالث: تصور مقترح لتعزيز الرحمة في التربية الوالدية.
المطلب الأول: التربية بالقدوة والرحمة في ضوء القرآن والسنة.
المطلب الثاني: تفعيل المسؤولية الأسرية في المنظور الاسلامي.
المطلب الثالث: تكامل الحلول التربوية والنفسية مع الثوابت الشرعية.
الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

المبحث الأول: الأسس الشرعية للرحمة في التربية الوالدية

المطلب الاول: مفهوم الرحمة الوالدية لغوية واصطلاحًية.

أولًا: الرحمة في اللغة: الرحمة في أصل اللغة: قال الفارابي:» الرَحْمَةُ: الرِقَّةُ والتعطُّفُ. والمرحمةُ مثلهُ. وقد رَحِمْتُهُ وترَحَّمْتُ عليه. وتراحَمَ القوم: رَحِمَ بعضُهم بعضاً[1]»،قال ابن فارس:» والرحم: القرابة، ومنه استُعيرت الرحمة لكونها عاطفةً تلين القلب تجاه الآخرين والشعور بآلامهم والرغبة في دفعها عنهم»[2] .

فالرحمة في اللغة:هي الرقة والتعطف، وأصلها من الرحم لِما فيها من عاطفة وميلٍ يبعث على الإحسان ودفع الأذى.

ثانيًا: الرحمة في الاصطلاح: عرّفها الباحثون بتعريفات متعددة، ومن أبرزها أنها "مجموعة السلوكيات والتوجهات العاطفية الإيجابية التي يصدرها الوالدان تجاه الأبناء، والتي تتمثل في العطف، والحنان، والتسامح، والاستجابة الفاعلة لحاجاتهم النفسية والجسمية، والشعور بهمومهم وأحزانهم والسعي لتخفيفها".[3]

ويُفهم من هذا أن الرحمة الوالدية ليست مجرد شعور وجداني، بل هي ممارسات عملية تنعكس في تعامل الوالدين مع أبنائهم. وقد دلّ على ذلك قول النبي ﷺ: «من لا يَرحم لا يُرحم» [4]أي أن الرحمة خلق متبادل يظهر أثره في السلوك والتربية.

كما أن القرآن الكريم أشار إلى هذه الصلة الوجدانية في قوله تعالى: (وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا)[5] ، حيث ربط بين التربية والرحمة، فالتربية القائمة على الحنان والشفقة هي التي تستحق الدعاء بالرحمة.

---

(١) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية،للفاربي:١٩٢٩/٩ (مادة رحم)، لسان العرب، لابن منظور:٢٣٠/١٢ مادة فصل الحاء المهملة.

(٢) ينظر: مقاييس اللغة، ابن فارس:٤٦٨/٢، مادة: (رحم).

(٣) التربية بالرحمة وأثرها في بناء شخصية الطفل عبد الرحمن يوسف ،الشطي: ٤٥.

(٤) صحيح البخاري:كتاب الأدب/الباب/باب رحمة الناس والبهائم:٨/ ٢٤، رقم الحديث: (٦٠١٣).
صحيح مسلم: كتاب : الفضائل/الباب: رحمته ﷺ الصبيان والعيال وتواضعه وفضل ذلك: ١٨٠٨/٤رقم الحديث: (٢٣١٨)

(٥) سورة الإسراء الآية : ٢٤.

المطلب الثاني: الرحمة في القرآن الكريم ودلالاتها التربوية وتطبيقها في الواقع:

القرآن الكريم هو الدستور الرباني الذي وضع أعظم الأسس لبناء العلاقات الأسرية، وجعل الرحمة فيها هي القاعدة والأصل. ومن الآيات التي تؤسس لهذا المعنى:

١. الأمر المباشر بالرَّحْمَة والتواضع للوالدين:

· النص القرآني: قال تعالى: {وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا}(١)

· دلالتها التربوية: تأمر الآية الولد بذل الرحمة للوالدين وخفض الجناح لهما، وهو تعبير بلاغي بليغ عن التواضع الكامل واللين والرفق في التعامل. وهي تذكر الولد بأعظم سبب للشعور بالرحمة تجاه والديه، ألا وهو تربيتهما له وهو صغير ضعيف.

أقوال المفسرين:

يقول الطبري في تفسيره: واخفض لهما جناح الذل من الرحمة» يعني: تواضع لهما، وارحمهما، وألن لهما جانبك... «وقل رب ارحمهما كما رباني صغيرا» يعني: كما رباني صغيرا ضعيفا، فارحمهما أنت يا رب عند كبرهما وضعفهما (٢)

قال القرطبي: يعقد في تفسيره باباً بعنوان «البر والرحمة والشفقة» ويقول: «قوله تعالى: {وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ} أي ألن لهما جناحك، وتواضع لهما... وهذا كناية عن غاية التذلل والرقة، كقول الشاعر: تخفض الجناح لها حذاراً عليها (٣)

نموذج تطبيقي واقعي لبرّ الوالدين بالرحمة والتواضع:

· التحدث مع الوالدين بصوت منخفض وهادئ بعيدًا عن الانفعال أو الغضب.

· الإصغاء لحديثهما وشكواهما باهتمام وصبر دون مقاطعة

· تلبية طلباتهما برضا وسرور وعدم التبرم أو إظهار الضيق.

· خدمتهما في الكِبَر كما قاما بخدمة الابن في صغره (مثل مساعدتهما في الطعام، العلاج، قضاء الحوائج).

· إظهار مشاعر الرحمة عمليًا؛ كمسك أيديهما عند المشي، أو السؤال عن صحتهما يوميًا، أو التلطف بالابتسامة والدعاء لهما.

(١) سورة الإسراء الآية : ٢٤.

(٢) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، ١٧، / ٥٨٢.

(٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي: ١٠، / ٢٤١.

٢. اقتران شكر الوالدين بشكر الله تعالى:

النص القرآني: قال تعالى: {أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ}(١)

دلالتها التربوية: هذه الآية من جوامع الكلم، حيث قرنت بين حق الله تعالى وحق الوالدين في الشكر. وهذا يرفع من مكانة الوالدين إلى أعلى الدرجات، ويجعل الإحسان إليهما والرحمة بهما مقروناً بعبادة الله وشكره، وهي أعلى الدلالات التربوية على أهمية هذه العلاقة.

أقوال المفسرين:

يقول ابن كثير في تفسيره: وقوله: {أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ} أي: كما أمرتك أن تشكرني، فاشكر لوالديك، فإن لهما عليك حقاً عظيماً... وأما الوالدان فلهما على الولد أن يشكرهما ويحسن إليهما غاية الإحسان (٢)

قال السعدي في تفسيره: يوضح هذه النقطة بقوله: «فإنهما سبب وجودك، وقد بذلا غاية جهدهما في تربيتك صغيرًا، والقيام بمصالحك، فأنت لا تقدر على جزائهما، إلا أن تشكرهما، وتقوم بواجب حقوقهما (٣)

نموذج تطبيقي واقعي لشكر الوالدين المقترن بشكر الله تعالى:

· الدعاء المستمر لهما بالخير والرحمة في الصلاة وأوقات الإجابة.
· إدخال السرور عليهما بحسن الخلق ولين الكلام والنجاح في الدراسة أو العمل.
· تذكيرهما بالله تعالى والأعمال الصالحة بأسلوب رفيق رحيم.
· الإنفاق عليهما بسخاء عند حاجتهما، سواء في العلاج أو النفقة أو الهدايا.
· مشاركتهما أفراحهما وأحزانهما، وإظهار الامتنان الدائم لما قدماه من تربية ورعاية.

٣. الدعاء بالرحمة للوالدين بعد موتهما:

النص القرآني: قال تعالى على لسان المؤمنين: (رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ) (٤)

دلالتها التربوية: الرحمة هنا تتجاوز مرحلة الحياة الدنيا إلى الدعاء للوالدين بالمغفرة والرحمة في الآخرة. هذا يربط الولد بوالديه برباط روحي دائم، ويعلمه أن البر لا ينقطع بموتهما، بل يستمر

(١) سورة لقمان: ٣١.
(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٦/ ٣٥٢.
(٣) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، ص ٦٦٢.
(٤) سورة إبراهيم الآية : ٤١.

بالدعاء والاستغفار لهما وصلة أرحامهما وأصدقائهما.

أقوال المفسرين:

قال الامام القرطبي: معلقاً على هذه الآية: وفي هذا دليل على أن بر الوالدين مطلوب بعد وفاتهما، وذلك بصلة أرحامهما، والدعاء لهما، والتصدق عنهما (١)

قال الامام الطبري: يؤكد هذا المعنى: «يقول تعالى ذكره: {رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ} يعني: لوالديّ، فيسألان الله المغفرة لهما (٢)

نموذج تطبيقي واقعي للدعاء بالرحمة للوالدين بعد موتهما:

· الإكثار من الدعاء والاستغفار لهما في الصلاة وأوقات الإجابة.
· التصدق عنهما بالمال أو الطعام أو المشاركة في أعمال خيرية باسميهما.
· الحج أو العمرة نيابة عنهما إن لم يفعلا ذلك في حياتهما.
· صلة أرحامهما، كزيارة الأقارب والإحسان إليهم.
· إكرام أصدقائهما وأحبابهما والوفاء بعهودهما.

المطلب الثاني: الرحمة في السنة النبوية وتطبيقاتها العملية:

جسد النبي صلى الله عليه وسلم مبدأ الرحمة الوالدية في أقواله وأفعاله، فكان النموذج العملي التطبيقي الذي يجب أن يحتذى به.

١. القدوة العملية في الرحمة بالأطفال:

· النص النبوي: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَبَّلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ، وَعِنْدَهُ الأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ، فَقَالَ الأَقْرَعُ: إِنَّ لِي عَشَرَةً مِنَ الوَلَدِ مَا قَبَّلْتُ مِنْهُمْ أَحَدًا، فَنَظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ: «مَنْ لا يَرْحَمُ لا يُرْحَمُ»(٣).

أقوال شرح الحديث:

يقول ابن حجر العسقلاني: في «فتح الباري»: وفي الحديث أن قبول الصبي من الرحمة، وفيه الحض على استعمال الرحمة... وقوله: «من لا يرحم لا يُرحم» أي من لم يرحم خلقه، لم

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٩ / ٢٩٨.
(٢) ينظر: جامع البيان، الطبري، ١٣ / ١٦٧.
(٣) ينظر: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله، حديث رقم ٥٩٩٧.

يرحمه خالقه [١]

قال الامام النووي: يشير إلى أن الحديث أصل عظيم في الحض على استعمال الرحمة لكل أحد، ولكن للصغار خاصة [٢]

نموذج تطبيقي واقعي للقدوة العملية في الرحمة بالأطفال:

· أن يُظهر الوالدان محبتهم الجسدية للأطفال عبر التقبيل، المعانقة، والابتسامة.

· مشاركة الأطفال في اللعب والأنشطة الترفيهية لإشعارهم بالقرب والاهتمام.

· التلطف في الحديث معهم، والاستماع إلى مشاعرهم بجدية.

· الثناء على إنجازاتهم الصغيرة، مما يعزز ثقتهم بأنفسهم.

· تربية الأبناء على أن الرحمة سلوك عملي يومي، يتجلى في الأفعال لا الأقوال فقط.

٢. بيان أن الرحمة لا تضعف الهيبة بل تزيد المودة:

النص النبوي: عن عائشة رضي الله عنها قالت: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: تُقَبِّلُونَ الصِّبْيَانَ؟ فَمَا نُقَبِّلُهُمْ! فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَوَ أَمْلِكُ لَكَ أَنْ نَزَعَ اللَّهُ مِنْ قَلْبِكَ الرَّحْمَةَ؟»[٣].

أقوال شرح الحديث:

يقول القاضي عياض: في «إكمال المعلم»: فيه أن تقبيل الصبيان وإظهار الشفقة عليهم من الرحمة التي ركبت في طباع الخلق... وفيه أن من لا رحمة عنده، فإنما ذلك لنزعها من قلبه، وهو خلق ذميم [٤]

قال الامام النووي: يعلق على قوله «أوَ أملِك» بأنها للإنكار، أي: هل أملك أن أجعل في قلبك الرحمة إذا نزعت منه؟! وهذا توجيع للأعرابي وتقبيح لفعله [٥]

نموذج تطبيقي واقعي:

· أن يعي الوالدان أن مظاهر الرحمة (التقبيل، العناق، التلطف) لا تُضعف من هيبتهما، بل تُعمِّق المودة والثقة بينهما وبين الأبناء.

(١) ينظر: فتح الباري، ابن حجر: ١٠ / ٤٢٦.

(٢) ينظر: شرح صحيح مسلم، النووي، ج ١٦، ص ٤٣٢.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله، حديث رقم ٥٩٩٨، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب رحمته صلى الله عليه وسلم الصبيان والعيال...، حديث رقم ٢٣١٧.

(٤) ينظر: إكمال المعلم، القاضي عياض: ٧ / ٤٢٨.

(٥) ينظر: شرح صحيح مسلم، النووي، ١٥/ ٢٠٢.

· أن يواجه الأب أو الأم من يعترض على رحمتهم بأولادهم بالتذكير بأن الرحمة خُلُق نبوي أصيل، وأنها لا تتنافى مع التربية المنضبطة.

· أن يُظهر الوالد الحزم في المواقف التربوية التي تحتاج ذلك، لكن مع بقاء أساس العلاقة مبنيًا على الرحمة.

· أن يتوازن الوالدان بين اللين في العاطفة والصرامة في المواقف التربوية، فينشأ الطفل محاطًا بالحب دون أن يفقد الانضباط.

٣. الرحمة تشمل التيسير وعدم التشديد:

النص النبوي: عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ العَذْرَاءِ فِي خِدْرِهَا، وَكَانَ إِذَا كَرِهَ شَيْئًا عُرِفَ فِي وَجْهِهِ، وَمَا عَابَ طَعَامًا قَطُّ، إِنِ اشْتَهَاهُ أَكَلَهُ، وَإِلَّا تَرَكَهُ، وَلَمْ يُعِبْهُ، وَلَمْ يَسُبَّ أَحَدًا قَطُّ، وَلَا انْتَقَمَ لِنَفْسِهِ، إِلَّا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرُمَاتُ اللَّهِ، فَإِذَا انْتَهَكَ حُرُمَاتُ اللَّهِ، لَمْ يَقُمْ لِأَحَدٍ غَضَبٌ كَمَا يَقُومُ لِلَّهِ»(١).

أقوال شرح الحديث:

قال الامام ابن حجر العسقلاني: يستنبط من هذا الحديث كثيراً من الآداب، منها: التلطف في الإنكار، والتغافل عن الهفوات، وترك التأنيب على كل صغيرة وكبيرة، وأن لا يعيب الإنسان ما لا يعجبه من الأمور الدنيوية (٢)

يقول المناوي: في «فيض القدير»: وفيه ترك التكلف والتشدد والتقعر في الأمور، والاقتصار على ما يقتضيه الحال من غير إفراط ولا تفريط (٣)

نموذج تطبيقي واقعي للتيسير والرحمة في التربية:

· التسامح مع الهفوات الصغيرة للأبناء التي لا تخالف الشرع، وعدم المبالغة في اللوم أو العقاب.

· التركيز على تعزيز السلوك الإيجابي وتشجيع الأبناء عند القيام بالخير بدلاً من التركيز على السلبيات فقط.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب صفة النبي صلى الله عليه وسلم، حديث رقم(٣٥٦٢) ، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقا، حديث رقم(٢٣٢٠).

(٢) ينظر: فتح الباري، ابن حجر: ٦/ ٤٨٢.

(٣) ينظر: فيض القدير، المناوي: ٥/ ٩٦.

· التعامل مع الأبناء بلطف وتغافل عن الأمور الدنيوية البسيطة، دون التشدد أو التكلف.
· تطبيق مبدأ الرحمة في الحياة اليومية بأن يكون الوالدان سهلاً ليناً في القرارات والأفعال المتعلقة بالأبناء.
· استخدام التوجيه والإنكار بطريقة لطيفة وبناءة، دون إحراج أو تأنيب زائد

المطلب الرابع: الحكمة من تشريع الرحمة في التربية.

أولاً: بناء شخصية متوازنة نفسياً وروحياً:

إنّ التربية بالرحمة تضمن استقرار النفوس وطمأنينتها، وتبعدها عن الاضطراب النفسي والقسوة، وقد دلّ القرآن الكريم على أثر الرحمة في نجاح القيادة والتربية بقوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ ، إذ يظهر أن الرحمة شرط أساس لنجاح المربي في رسالته.([1]

ثانياً: تعزيز قيم المحبة والتعاون الاجتماعي:

شرعت الرحمة لتكون رابطة قلبية تُشيع المودة في المجتمع، وتُربّي الأبناء على العطف والإيثار، وقد قال النبي ﷺ: «الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء» [2]وهذا يوضح أن الرحمة قيمة اجتماعية تبني أمة متماسكة.

ثالثاً: وقاية من الانحراف والعنف:

التربية القائمة على الرحمة تمنع من نشوء نزعات العنف أو التمرّد، بخلاف التربية القائمة على القسوة والشدة المفرطة التي قد تولد العناد والانطواء، وقد أشار ابن القيم إلى أن الرحمة أصل لصلاح القلوب قائلاً: «القلب لا يفلح ولا ينجو ولا يسعد إلا بأن يكون الله معبوده، ومحبوبه، وغاية مقصوده، والرحمة أصل لذلك» [3]، مما يدل على أن الرحمة تحفظ الفرد من الانحراف وتصلح سريرته.

رابعاً: تحقيق مقاصد الشريعة في حفظ النفس والعقل:

التربية بالرحمة وسيلة لحماية النشء من الأذى النفسي والجسدي، مما ينسجم مع مقاصد الشريعة في حفظ النفس والعقل، وقد ذكر الغزالي أنّ الرحمة مقصد شرعي أصيل، فهي «أم

(١) القرآن الكريم، آل عمران: ١٥٩.
(٢) الترمذي، الجامع الصحيح، كتاب البر والصلة، حديث رقم (١٩٢٤).
(٣) ينظر: ابن القيم الجوزية، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ٢/ ٤٣٩.

الفضائل» التي تجذب القلوب إلى الحق وتُبعدها عن الضرر [١] كما يرى النحلاوي أن التربية الإسلامية بالرحمة هي السبيل الأمثل لبناء شخصية سوية قادرة على أداء دورها الاستخلافي [٢]

المبحث الثاني: تشخيص واقع الرحمة في التربية المعاصرة .

لقد جعل الإسلام الرحمةَ مقصداً أساسياً من مقاصد العلاقة الأسرية، وجعلها الأساس الذي تُبنى عليه تربية الأبناء، قال تعالى: {وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ}[٣]. وهذا أمر بإظهار التذلل والخضوع لهما، ورعايتهما رعاية كاملة، كما يقول الطبري في تفسيره: «واخفض لهما جناحك من الرحمة والرقة، وارحمهما كما رحمتك صغيرًا»[٤]. فإذا انتزعت الرحمة من هذه العلاقة، حل محلها القسوة، مما يؤدي إلى تشويه الفطرة السليمة وبروز أنماطٍ معاصرة من الإيذاء.

المطلب الأول: العنف الجسدي والنفسي كمظهر لغياب الرحمة.

يُعد استخدام العنف الجسدي أو النفسي من أبرز مظاهر انتزاع الرحمة، تحت شعار «التأديب». لكن التأديب في الإسلام له ضوابط تضمن عدم انتهاك كرامة الطفل.

الدليل الشرعي: النهي عن الإيذاء ولو بالدعاء، كما في الحديث: «لا تدعوا على أنفسكم، ولا تدعوا على أولادكم، ولا تدعوا على أموالكم، لا توافقوا من الله ساعة يُسأل فيها عطاء فيستجيب لكم»[٥].

يقول الإمام النووي في شرحه: فيه النهي عن الدعاء على الأولاد والأموال، ومعنى (لا توافقوا) أي لا يصادف دعاؤكم ساعة إجابة فيستجيب لكم فيحصل الضرر [٦]

(١) ينظر: إحياء علوم الدين ،أبو حامد الغزالي، ٣/ ١٠٢.
(٢) ينظر: أصول التربية الإسلامية وأساليبها ،عبد الرحمن النحلاوي ، ص ٥٥.
(٣) سورة الإسراء: ٢٤.
(٤) تفسير الطبري، ١٤/ ٢٩٦.
(٥) أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب كراهة الدعاء بتعجيل العقوبة في الدنيا :صحيح مسلم، ٤ / ٢٠٩٤، حديث رقم (٣٠٠٩).
(٦) ينظر: شرح النووي على صحيح مسلم، ١٨ /١١٥.

الصورة الواقعية والتحليل: دراسة حالة لطفل يتعرض للضرب المبرح أدت إلى إصابته بكدمات وآثار نفسية عميقة(١). ويرى علماء النفس أن العنف يولد سلوكاً عدوانياً وينتقص من تقدير الذات(٢).

يتضح أن العنف الجسدي والنفسي في التربية يمثل صورة صارخة من انتزاع الرحمة من الأبناء، رغم أن بعض الآباء يبررونه باسم التأديب. ويؤكد القرآن والسنة على ضوابط الرحمة في التربية، ومنع إيذاء الأطفال بأي شكل، سواء جسديًا أو نفسيًا، حتى بالدعاء، حفاظًا على كرامتهم ونموهم النفسي السليم. وتشير الدراسات النفسية إلى أن العنف يولد سلوكًا عدوانيًا ويضعف تقدير الذات لدى الطفل، مما ينعكس سلبًا على تطوره الاجتماعي والنفسي. ومن هنا، يصبح اتباع التربية بالرحمة واللين وفق الضوابط الشرعية أساسًا لإنشاء أفراد متوازنين نفسيًا وأخلاقيًا.

المطلب الثاني: الإهمال العاطفي والتربوي وأثاره.

هو صورة سلبية خفية لانتزاع الرحمة، حيث يُحرم الطفل من الحنان والاهتمام والحضور النفسي.

الدليل الشرعي: القرآن الكريم يصور مشهداً من الرحمة الوالدية في قوله تعالى: {وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ}(٣).

يقول الإمام السعدي: فؤادها خالٍ من كل شيء إلا من أمر موسى، فهي لا تفكر إلا فيه، ولا يهمها إلا شأنه، ولهذا قال: {إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ} أي: لتظهر أمره وتخبر به؛ لشدة وجدها وخوفها عليه، لولا أن صبرناها وثبتناها»(٤). فالحضور العاطفي والقلق على الولد هو نموذج للرحمة الفطرية.

الصورة الواقعية والتحليل: انشغال الوالدين بالهواتف الذكية وترك الطفل للشاشات كبديل عن التفاعل العاطفي .(٥)وهذا الإهمال يؤدي إلى «الجوع العاطفي» واضطرابات التعلق(٦) .

(١) ينظر: العنف الأسري ضد الأطفال وآثاره النفسية والاجتماعية، العوفي: ص ٤٥.
(٢) ينظر: التربية الرحيمة: مقارنة نفسية إسلامية ،العدوي: ص ١١٢.
(٣) سورة القصص الآية : ١٠.
(٤) ينظر: تيسير الكريم الرحمن، للسعدي: ص ٦٥١.
(٥) ينظر: أثر التقنيات الحديثة على التفاعل العاطفي داخل الأسرة: ص ٧٨.
(٦) ينظر: ا لإهمال العاطفي للطفل في البيئة الأسرية، الشمراني: ص ٩٣.

يتضح أن الإهمال العاطفي والتربوي للأبناء يعد صورة خفية لانتزاع الرحمة، إذ يحرم الطفل من الحنان والاهتمام والحضور النفسي الضروري لنموه السليم. ويبرز القرآن الكريم مثال الأم المؤمنة التي اهتمت بولدها موسى رضي الله عنه، ليكون نموذجًا للرحمة الفطرية والاهتمام العاطفي. أما الواقع المعاصر فيشير إلى أن انشغال الوالدين بالهواتف الذكية وترك الطفل أمام الشاشات يحرمهم من التفاعل العاطفي المباشر، مما يؤدي إلى «الجوع العاطفي» واضطرابات التعلق. ومن هنا، يصبح الحضور النفسي والاهتمام العاطفي اليومي للطفل شرطًا أساسيًا لغرس الرحمة والأمان النفسي في الأسرة.

المطلب الثالث: ضغوط التحصيل الدراسي والمقارنات الاجتماعية.

المطلب الرابع: التفكك الأسري والتمييز بين الأبناء.

تتحول التربية إلى سباق قاسٍ، يفرض الآباء فيه طموحاتهم على أبنائهم، مع استخدام المقارنة الجائرة.

الدليل الشرعي: النهي عن التمييز في المعاملة، كما في حديث النعمان بن بشير: «اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم»(١).

يقول ابن حجر العسقلاني: والحكمة في النهي عن التفضيل أن ذلك يدعو إلى العداوة بينهم، وكذلك يدعو إلى عقوق الوالدين (٢).والمقارنة الجائرة هي صورة من صور عدم العدل.

الصورة الواقعية والتحليل: ضغط الوالدين على الابن لدراسة تخصص لا يرغبه، أو المقارنة المستمرة بين الأبناء. هذا الضغط يؤدي إلى القلق والاكتئاب ويقتل الإبداع(٣).

يتضح أن ضغوط التعليم والعمل وفرض المقارنات الجائرة بين الأبناء تمثل صورة من صور انتزاع الرحمة، إذ تحرم الطفل من بيئة تربوية عادلة ومستقرة عاطفيًا. ويؤكد الشرع على وجوب العدل بين الأبناء، حيث يؤدي التفضيل والمقارنات المستمرة إلى نشوء العداوة بينهم، وتقويض الثقة بالنفس، وزيادة القلق والاكتئاب، وإضعاف الإبداع. ومن هنا، يصبح العدل في المعاملة، واحترام ميول الأطفال وقدراتهم الفردية، وتخفيف الضغوط غير المبررة من الضرورات التربوية

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها، باب الإشهاد في الهبة : ٣، ١٠٠٤، حديث رقم(٢٥٨٧).

(٢) ينظر: فتح الباري، لابن حجر: ٥/ ٢١١.

(٣) ينظر: الغامدي، ٢٠١٧، ص ١٣٤.

لغرس الرحمة وتحقيق توازن نفسي وسلوكي لدى الأبناء.

المطلب الرابع: التفكك الأسري والتمييز بين الأبناء:

ينتج عن انتزاع الرحمة بين الزوجين، وينعكس على الأبناء. والتمييز في المعاملة صورة صارخة لانعدام العدل.

الدليل الشرعي: قال تعالى: {وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ}(١).

يقول الإمام القرطبي: أي: طيبوا أقوالكم لهن، وحسنوا أفعالكم وهيئاتكم بحسب قدرتكم، كما تحب ذلك منها، فافعل أنت كذلك (٢)

فالمعاشرة بالمعروف هي حفاظ على جو الرحمة.

الصورة الواقعية والتحليل: معاناة الطفل من آثار صراخ الوالدين الدائم، أو التمييز في المعاملة بين الذكر والأنثى. يُظهر الأطفال في الأسر المفككة معدلات أعلى من الاضطرابات، ويؤدي التمييز إلى الغيرة المرضية (٣)

يتضح أن التفكك الأسري والتمييز بين الأبناء يمثلان من أبرز صور انتزاع الرحمة في الأسرة، إذ يؤدي فقدان الرحمة بين الزوجين إلى بيئة غير مستقرة عاطفياً للأبناء، ويترتب على التمييز في المعاملة نشوء الغيرة المرضية واضطرابات سلوكية ونفسية. ويؤكد القرآن الكريم على المعاملة بالمعروف والعدل بين أفراد الأسرة، حيث أن المعاشرة بالمعروف بين الزوجين توفر جو الرحمة والحماية النفسية للأطفال. ومن هنا، يصبح تعزيز التفاهم الأسري، وحسن المعاشرة، والعدل بين الأبناء من الضرورات لحماية الأطفال من آثار التفكك الأسري، وغرس قيم الرحمة والاستقرار النفسي والاجتماعي في الأسرة.

المبحث الثالث: تصور مقترح لتعزيز الرحمة في التربية الوالدية.

تُعَدّ الرحمة قيمةً أصيلة في الشريعة الإسلامية، إذ جعلها الله تعالى أساسًا في التعامل بين الناس ومقياسًا لصلاح القلوب. ومن هنا جاءت المعالجات الشرعية والتربوية لمعالجة ظاهرة انتزاع الرحمة، حفاظًا على تماسك المجتمع ورعايةً للفطرة الإنسانية.

(١) سورة النساء الآية : ١٩.

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي: ٥ / ٨٣.

(٣) ينظر: الحربي، ٢٠١٨: ص ٦٧.

المطلب الأول: التربية بالقدوة والرحمة في ضوء القرآن والسنة.

الرحمة في الإسلام قيمةٌ مركزية، وهي ليست مجرد عاطفةٍ عابرة، بل هي صورةٌ من صور الإيمان، وقيمة إلهية كبرى جعلها الله أساساً للخلق، ومنهجاً للأنبياء والمرسلين.

١. الأسس القرآنية:

قال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ}(١)

يقول الإمام ابن كثير في تفسير: هذه الآية أصل كبير في فهم شمولية رسالته صلى الله عليه وسلم، فهي رحمة للخلق أجمعين، مؤمنهم وكافرهم، فالمؤمنون هداهم الله به إلى صراط المستقيم، والكفار أمهلهم ولم يعاجلهم بالعذاب (٢).

قال تعالى: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ} (٣)

يقول الإمام القرطبي في تفسيره: في هذه الآية بيان لعاقبة اللين والرحمة وعاقبة الفظاظة والغلظة، وأن الرحمة تجذب القلوب وتؤلفها، والقسوة تفرقها وتنفرها (٤).

٢. الأسس النبوية من السنة:

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا مَنْ فِي الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ»(٥).

قال ابن بطال: فيه الحض على استعمال الرحمة للخلق، والتخلق بصفات الله تعالى، والجزاء من جنس العمل (٦)

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَبَّلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسن بن علي، وعنده الأقرع بن حابس، فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولد ما قبَّلتُ منهم أحداً، فنظر إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال: «مَنْ لا يَرْحَمْ لا يُرْحَمْ»(٧).

(١) سورة الأنبياء الآية : ١٠٧.

(٢) ينظر: تفسير ابن كثير: ٣٣٢/٥.

(٣) سورة آل عمران الآية : ١٥٩.

(٤) ينظر: تفسيره القرطبي :٢٤٩/٤.

(٥) أخرجه الترمذي في «جامعه»، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في رحمة المسلمين، (٣٢٣/٤)، حديث رقم (١٩٢٤)، وقال: «حديث حسن صحيح»، وأخرجه أبو داود في «سننه»، كتاب الأدب، باب في الرحمة، (٢٨٣/٥)، حديث رقم (٤٩٤١).

وأخرجه أحمد في «مسنده»، مسند عبد الله بن عمرو بن العاص، (١١٢/١١)، حديث رقم (٦٤٩٩).

(٦) ينظر: شرح صحيح البخاري، ٩/ ١٧٣.

(٧) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، (٤٢٦/١٠)، حديث رقم (٥٩٩٧).

قال النووي: هذا عامٌّ في كل من لا يرحم لا يُرحمه الله، والمراد رحمة الخلق بالرِّفق والإحسان والشفقة، لا رحمة الشهوات والباطل [١].

وقال ابن حجر: وفيه أن عدم الرحمة سبب لعدم حصولها، وأن الجزاء من جنس العمل [٢].

يتضح من استعراض الأسس القرآنية والنبوية أن الرحمة قيمة مركزية في التربية الإسلامية، ليست مجرد شعور عاطفي، بل هي سلوك عملي يُغرس في النفس بالقدوة والتطبيق. فالقرآن يربط الرحمة باللين وجذب القلوب، ويبين أثرها في توثيق الروابط الإنسانية، كما توضح السنة النبوية أن الرحمة تشمل التعامل مع الصغار والكبار على حد سواء، وأن من لا يرحم الخلق لن يُرحم. ومن هذا المنطلق، تصبح التربية بالقدوة والرحمة أداة فعّالة لتنشئة أفراد متوازن أخلاقياً وروحياً، قادرين على نشر المحبة واللين في المجتمع.

المطلب الثاني: تفعيل المسؤولية الأسرية في المنظور الاسلامي.

الأسرة هي المدرسة الأولى التي تُغرس فيها قيم الرحمة أو تنتزع منها، ومن أهم مظاهر الرحمة في التربية الأسرية:

١. التربية على الرحمة بين الأبناء:

عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما أن أباه أتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إني نحلت ابني هذا غلاماً كان لي، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أَكُلَّ وَلَدِكَ نَحَلْتَهُ مِثْلَ هَذَا؟» قال: لا، قال: «فَأَرْجِعْهُ»[٣].

قال ابن حجر: فيه الحض على العدل بين الأولاد، ووجوب التسوية بينهم في العطية، لأن في الميل والجور إثارة للعداوة بينهم[٤].

وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب رحمته صلى الله عليه وسلم بالصبيان والعيال، (٦٨/٧)، حديث رقم (٢٣١٨).

(١) شرح صحيح مسلم، ١٦/ ١٧٥.

(٢) فتح الباري، ١٠/ ٥٤٤.

(٣) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها، باب الهبة للولد، (٢١١/٥)، حديث رقم (٢٥٨٧).

وأخرجه مسلم في «صحيحه»، كتاب الهبات، باب كراهة تفضيل بعض الأولاد في الهبة، (١١٨/٥)، حديث رقم (١٦٢٣).

(٤) ينظر: فتح الباري، ٥/ ٢١١.

وقال النووي:الحديث دليل على وجوب العدل بين الأولاد في العطية، وهو من تمام الرحمة في التربية الأسرية [١]

٢. الرحمة كمعيار لصلاح الفرد:

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا، وَيُوَقِّرْ كَبِيرَنَا»[٢].

قال ابن حجر: المعنى: ليس من المقتدين بنا الكاملين في اتباعنا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا[٣].

وقال المناوي: الحديث إشارة إلى أن الرحمة بالصغار والتوقير للكبار من أصول مكارم الأخلاق وتمام القدوة [٤] يتضح من استعراض النصوص النبوية وأقوال الشراح أن الأسرة تعد البيئة الأساسية لغرس الرحمة، وأن إحياء المسؤولية الأسرية في الإسلام يرتكز على مبدأين رئيسيين: العدل بين الأبناء والرحمة بالصغار والتوقير للكبار. فالتربية على هذه القيم لا تحمي الطفل من الانحراف الأخلاقي فحسب، بل تنشئ أفرادًا صالحين قادرين على ممارسة الرحمة في المجتمع، مما يعكس أثر التربية الأسرية المبنية على الرحمة في تحقيق الصلاح الفردي والاستقرار الأسري والاجتماعي.

المطلب الثالث: تكامل الحلول التربوية والنفسية مع الثوابت الشرعية. يمكن استلهام الحلول من المنهج الإسلامي وتطبيقها بطريقة عصرية، ومن أبرز هذه الحلول:

١. تعزيز الذكاء العاطفي (Emotional Intelligence):

يؤكد «دانييل جولمان: أن التعاطف (وهو جوهر الرحمة) هو مهارة أساسية يمكن تعلمها وتدريبها، وهو المفتاح لنجاح العلاقات الإنسانية[٥].

(١) ينظر: شرح صحيح مسلم، ١١/ ٧٧.

(٢) أخرجه الترمذي في جامعه، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في رحمة الصبيان، (٣٢٢/٤)، حديث رقم (١٩٢٠)، وقال: «حديث حسن صحيح»، وأخرجه أحمد في «مسنده»، مسند عبد الله بن مسعود، (١٩٨/٧)، حديث رقم (٨٠٣٦).

(٣) ينظر: فتح الباري، ١٠/ ٣٤٧.

(٤) ينظر: فيض القدير، ٥/ ٤٤٢.

(٥) ينظر: الذكاء العاطفي، دانييل جولمان :ص ٤٥.

٢. التربية بالتعاطف (Empathy Education):

تذكر «ميشيل بوربا» :أن التعاطف هو سلوك منقذ من التنمر، ويمكن بناؤه عبر أنشطة محددة مثل مناقشة المشاعر وتشجيع الأعمال المساعدة(١).

٣. العلاج بالرحمة (Compassion-Focused Therapy):

يربط «بول جيلبرت» في أبحاثه : بين الممارسات التأملية التي تشجع على اللطف والرحمة وبين تحفيز نظام التهدئة في الدماغ، مما يقلل القلق ويزيد المشاعر الإيجابية(٢).

ويتضح أن تعزيز الرحمة في الأسرة والمجتمع لا يقتصر على التربية التقليدية فحسب، بل يمكن الاستفادة من الحلول التربوية والنفسية المعاصرة المستوحاة من المنهج الإسلامي. فتعزيز الذكاء العاطفي، والتربية بالتعاطف، والعلاج بالرحمة، تمثل أدوات فعالة لبناء شخصية متوازنة قادرة على التعاطف والمودة، مما يعزز استقرار الأسرة ويرسخ القيم الأخلاقية المستمدة من القرآن والسنة، ويحقق التكامل بين التربية الروحية والنفسية الحديثة.

(١) ينظر: «بناء الشخصية ،ميشيل بوربا : ص ١١٢.

(٢) ينظر: أبحاث بول جيلبرت :ص ٨٩.

الخاتمة

بعد هذه الدراسة في موضوع انتزاع الرحمة من الوالدين في صور معاصرة تجاه أبنائهم، أمكن الوقوف على جملة من النتائج، أبرزها:

١. أن الرحمة الوالدية في الإسلام أصل ثابت، دلّت عليه النصوص القرآنية والسنة النبوية، وهي ليست مجرد شعور قلبي، بل سلوك عملي يتجسد في العطف والحنان والعدل والرعاية.

٢. أن انتزاع الرحمة قد اتخذ في واقعنا المعاصر صورًا متعددة، منها: العنف الجسدي والنفسي، والإهمال العاطفي والتربوي، وضغوط التعليم والمقارنات الجائرة، والتفكك الأسري والتمييز بين الأبناء. وهذه المظاهر تخالف مقاصد الشريعة وتنعكس سلبًا على تماسك الأسرة والمجتمع.

٣. أن الشريعة الإسلامية وضعت معالجات متكاملة لهذه الظاهرة، من خلال التربية بالقدوة، والعدل بين الأبناء، وإحياء المسؤولية الأسرية، وتوظيف الرحمة كمعيار لصلاح الفرد والمجتمع. كما أن علم النفس الحديث قدّم حلولاً داعمة كالتربية بالتعاطف، وتعزيز الذكاء العاطفي، والعلاج بالرحمة، مما ينسجم مع جوهر التعاليم الإسلامية.

التوصيات:

١. ضرورة إدماج قيمة الرحمة الوالدية في المناهج التربوية والبرامج الإعلامية.

٢. تشجيع الأسر على التوازن بين التربية بالرحمة والحزم وفق الهدي النبوي.

٣. تفعيل دور المؤسسات الدينية والتربوية في توعية الوالدين بخطورة العنف والإهمال العاطفي.

٤. الاستفادة من المناهج النفسية الحديثة في دعم التربية الإسلامية، بما يضمن بناء أجيال مستقرة نفسيًا واجتماعيًا.

وفي الختام، فإن الرحمة الوالدية ليست خيارًا ثانويًا، بل هي واجب شرعي وإنساني، وركيزة أساسية لحماية الأبناء من الانحراف، وضمان تماسك الأسرة والمجتمع، وتحقيق السعادة في الدنيا والآخرة.

المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.
٢. أثر التقنيات الحديثة على التفاعل العاطفي داخل الأسرة، خالد بن سعود الزبيدي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ٢٠١٩م.
١. إحياء علوم الدين ،أبو حامد الغزالي، ، دار المعرفة، بيروت.
٢. أصول التربية الإسلامية وأساليبها ،عبد الرحمن النحلاوي ، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٣م.
٣. إكمال المعلم بفوائد مسلم، عياض بن موسى القاضي عياض، تحقيق: يحيى إسماعيل، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٩٩٨م.
٤. الإهمال العاطفي للطفل في البيئة الأسرية، فاطمة عبد الله الشمراني، مجلة الدراسات التربوية والنفسية، جامعة السلطان قابوس، العدد (١٠)، ٢٠٢١م.
٥. التربية الرحيمة: مقارنة نفسية إسلامية، نوال محمد العدوي، القاهرة: دار الفكر العربي، ٢٠٢٠م.
٦. تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر ابن كثير، تحقيق: سامي السلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط١، ١٩٩٩م.
٧. التمييز في المعاملة الوالدية كما يدركها الأبناء وعلاقته بالتوافق النفسي، منصور بن فهد الحربي، مجلة علم النفس المعاصر، العدد (٢٢)، ٢٠١٨م.
٨. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط١، ٢٠٠٠م.
٩. جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري)، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٠م.
١٠. الجامع الصحيح (صحيح البخاري)، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ.
١١. الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، ط١، ٢٠٠٦م.

١٢. شرح صحيح مسلم، يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠٥م.

١٣. ضغوط ما قبل الاختبارات وعلاقتها بالقلق الاكتئابي لدى طلاب المرحلة الثانوية، أحمد محمد الغامدي، مجلة البحوث التربوية والنفسية، العدد (٤٢)، ٢٠١٧م.

١٤. العنف الأسري ضد الأطفال وآثاره النفسية والاجتماعية، سعيد حسين العوفي، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الملك سعود، العدد (١٥)، ٢٠١٨م.

١٥. فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وعادل مرشد، مؤسسة الرسالة، ط١، ٢٠١٣م.

١٦. فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبد الرؤوف بن تاج العارفين المناوي، تحقيق: أحمد عبد السلام، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٤م.

١٧. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ،ابن القيم الجوزية، تحقيق: بشير عيون، دار الكتاب العربي، بيروت، ٢٠٠١م.

١٨. المسند الصحيح (صحيح مسلم)، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

ثالثًا: المراجع الأجنبية:

· Emotional Intelligence، Daniel Goleman, New York: Bantam Books, 1995.

· UnSelfie: Why Empathetic Kids Succeed in Our All-About-Me World، Michele Borba, New York: Touchstone, 2017.

· Compassion Focused Therapy: Distinctive Features، Paul Gilbert, London: Routledge, 2010.